العصافير

فى قريتنا التى تعشق النيل فيعانقها من الناحيتين عند طرفها الشرقى يمر فرع رشيد وعند طرفها الغربى يتأبطها الرياح البحيرى .

الأخماس واحة للحب والألفة منذ زمن الإقطاع وهم مترابطون

لم تكن ثمة مدارس أسمنتية قد ظهرت وكنا فى البدء نتعلم القرآن فى كتاب القرية .

ألف رحمة عليك يا شيخ إزحمد"اسمه الحقيقى السيد أحمد وشهرته الشيخ ازحمد"كان قرأن يمشى على الأرض رحمه الله".

فى مدرسة قديمة البناء كنا نفترش الحصير يأكلنا برد الشتاءالمتسلل من النوافذ القديمة المبقورة البطون والأرض المبللة بالنشع.

فى أيام الفيضان يتجمع أهل القرية فوق "جسر الأخماس "الممتد المزدحم بأشجار التوت العتيقة يرقبون ارتفاع المياه فى النهرويرقبون كيزان الدرة التى ما زالت لبنا ويدعون الله أن يمهلنا النهر حتى نحصد المحصول .فيأتى

الفيضان فجأة ويندفع الماء ناحية الجسر الأول، فيجتمع الأهالى "لتمليص "الدرة على الواقف ويحاولون إنقاذ ما يمكن إنقاذه من المحصول وكان النشع يوحل المدرسة القديمة ولما ينحسر الماء

وتخضر الأرض بالبرسيم والقمح والفول الأخضر

نعود إلى المدرسة نحاوط عم "محمودأبو رضوان "بائع العسلية "واليوسفى السقط "وفى الفسحة نفر إلى "السبعة " مقابر القرية نتسلق أشجار النبق الكبيرة نملأ بطوننا وجيوب حقائبنا المصنوعة من القماش أو شكائر السماد الفارغة.

ولما كنت أهرب من المدرسة أرى الحزن فى عين أبى .

كنت أحبه وأكره هذا الحزن الذى عشش فى عينيه .

فى أمشير يشتد البرد فندخل الفصل فنجد بعض أقراص الحلوى "الفندام" منثورة على حصير الفصل وبعض العصافير

كل يوم وقبل الطابور يتسلل ناظر المدرسةإلى الفصل ليأكل الحلوى ويحذرنا من تناول أى حلوى نجدها.

حبلت قريتنا بالحكايات

يتسألون من يلقى الحلوى للأطفال وللعصافير؟

الخفراء بنادقهم مشرعة ,يدورون حول المدرسة يتهامسون.

ربما لص ,ربماجاسوس لعمدةمن عمد القرى المجاورة يريد أن يسمم اطفال قريتنا

.....

قبل طابور الصباح تسللت إلى الفصل ,كانت بعض العصافير تحوم وفجأة أمطرت النوافذ بالحلوى لملمتها وأكلت حتى الشبع ولم أمت ولم يصيبنى النوم.فقط نلت علقة ساخنة عقابا من ناظر المدرسة الذى كان ابنه يبكى

.....

انقطعت الحلوى .رأيت الحزن فى عيون العصافير والأطفال رحت أبكى لأبى

ضحك وغمز فى يدى بخمسة قروش قائلا

إذهب واشترى كيس فندام ووزعة على العيال

همس بائع الحلوى "عم محمود أبو رضوان "قائلا

- **مبروك عقبال السنة الجاية.**

رحت أجرى فرحا أخترق السكك والعيال يتجمعون حولى كخلية نحل نعبر الغيطان فى فرح صبيانى لم أدرك أن بكيس الحلوى ثقب وأن جميع العيال يأكلون الحلوى

فرغ الكيس تماما ولما وصلت إلى أبى كان غارقا فى العرق مشمرا عن ساعدية يبدر القمح لنا وللعصافير .

لوحت له بالكيس الفارغ .نظر إلينا وابتسم.....